نفسه وما ركبت عليه من ملازم الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها
مسيئا الظن بها وإن أخذ حذره منها دائما وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر
وقد نبه المؤلف رحمه الله على هذا المعنى بقوله أصل كل معصية وغفلة [وشهوة]
الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك [عنها]
الرضى عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها أصل الصفات
المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لأن الرضى عن
النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل
وعين الرضى عن كل عيب كليلة . وعدم الرضى عن النفس على عكس هذا لأن
العبد إذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر له من الطاعات
والانقياد كما قيل في الشطر الآخر ولكن عين السخط تبدي المساويا . فمن
رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن إليها ومن استحسن حال نفسه وسكن
إليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة
لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة
والتذكر ما يدفعها به فيقع بها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك
ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه
ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن إليها ومن كان عنده الوصف
كان متيقظا متنبها للخواطر والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من
تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه
غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فإذا [illegible] عبد كان
مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر به وهذا هو معنى الطاعة
لله عز وجل وأصل ذلك كله عدم رضاه عن نفسه فإذا لا شيء أوجب على
العبد من معرفته بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى عنها ومن تحقق العبد
معرفة نفسه يصح له [illegible] ويعلم مقامه وقد ورد عن الأخيار والأئمة الأخيار
من الكلمات المتضمنة لعيوبهم لنفوسهم والتهمة [illegible] وكرم [illegible]
أكثر من أن يحصى قال أبو حفص رضي الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام
الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر
أيامه كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف

يصح

يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة
بالسوء . وقال الجنيد رضي الله عنه لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة
ربك . وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما رضيت من نفسي طرفة عين وحكي عن سري
السقطي رضي الله عنه أنه قال إني لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد
اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضي الله عنه من الناس من يموت نصف
أحدهم لما أن [illegible] النصف الآخر لما حبسني الأمير إلى غير هذا من العبارات الصادرة عن
المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
جزءا صغير الحجم عظيم الفائدة في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه الموفق
وقد ألف قبله الإمام أبو عبد الله الحارث المحاسبي كتابا سماه بالنصائح جمع
فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية وشفى فيه
على سنن دارسة علوية صفات عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم
من التفتيش والتنقير والنظر فيما وما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وتعسر والمحافظة
على تصحيح الأسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من خطرات الذنوب وقد نقل الإمام أبو
حامد الغزالي رضي الله عنه منه فصلا في كتابه واعتمد عليه ذكر أنه بلغه ونقل كتابه
بعد أن اشتغل بعد ما نهوا عنه بأن الحارث به عمدة ومجلة وقال حقه والمحاسبي
رحمه الله حبر هذه الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس
وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان
أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهدا وكان سيدي الحاج ابن عاشر رحمة
الله عليه ورضوانه يكثر التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه
من حق وصواب والنصح سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه إلا ولي أو كلام
هذا معناه [illegible] ورجاء التحريض على العمل بما تضمنه مستعينا بالله
تعالى وسائلا منه توفيقا وليشمر [illegible] لمراعاة إصلاح باطنه والقيام
على قدم الجد في [illegible] ويجعل [illegible] التصوف ومن الآفات
[illegible] في الشأن التكلف والتعرف [illegible] أنوار إيمانه ويقينه وتنتفي
عنه النخوة في عمله [illegible] على ذلك [illegible] العز وما
يستجم به نفسه من حكايات الأكابر ولا يشغل نفسه بعلم [illegible] معقود له
ويوجب له [illegible] من أتبعه وعقوده [illegible] الناس عليه اليوم

النفس

تعلى

Copyright King Saud University